الفصل الثامن

ألا تزال تلاحقك؟

رن جرس الباب، والزوجان يتناولان العشاء معـا فـي المطـبخ.. فقامت مها وفتحت الباب وعادت بمظروف ناولته لأحمد. ونظـر أحمـد الى الصور التي بداخله بدون مبالاة وناولها اياها. انها صور الاحتفـال التي حضرها منذ بضعة ليال. كان بين المدعوين نساء. ولكن صـورة من المجموعة استفزت مشاعرها حتى لتحس باللقمة تختنق في حلقهـا، وقالت:

-ألا تزال تلاحقك؟

-من؟

-خطيبتك القديمة!

ولم تزد.. كانت دموعها تتقاطر على خدها ولم تكن تملك أن تكبتها.

ضحك وقال:

-قليلة عقل!

وأردف في عجب:

-عملاق يغار من قزم!

وتساءلت "لماذا لايقيسها بنفسه؟ هل حتم على الانسان أن يضيق الاّ بمن يفضلونه؟"

لم تكن هادئة الأعصاب لتعرف ما بها. أهي غيرة؟ ان هذا الـشعور لم يستول عليها من قبل.. بل هي تشفق عليها أكثر مما تغار، وتـستقبلها في بيتها بترحاب، وتتألم من أحمد حين يجعلها هدفا لمزاحه وسـخريته. ولو لم تكن ثقتها بأحمد لا حدود لها لتأزمت نفسها.. كانت تحلل أمرهـا بهدوء ولا تجد فيها خطرا يهددها.. ان أحمد لايكرههـا وهـذه عاطفـة

طبيعية.. بل لوكرهها لوجدت مها في هذا الكره دليلا للحب. ولا يحبهـا لأنه مامن عائق كان يعوقه عن الزواج بها لو كانت تلائمـه.. وكانـت تقول لنفسها "انها ستعرف يوما أنها تركض وراء سراب، فالعاطفة تموت حتما ان لم يؤججها أمل".

وبدا لها وهي تنظر الى الصورة بأنها لاتريد أن تفهم، بـل تحـاول مستيئسة أن تفرض نفسها عليه أمام عيون الناس.. وهي تستطيع أن تراه في الإجتماعات. . وتذكرت مها أنه لايدعوها هذه الأيام لمرافقته.. آه ان حياتهما لم تعد مشاركة. ان النساء في الإجتماعات والإحتفالات يرينـه أكثر مما تراه!

لم يكن انصرافه عنها من قبل ليبعث تذمرا في نفسها. انها تعلم أنـه يحمل أمانة ثقيلة وعليه أن لايغفل أو يتهاون أبدا.

كان يضحك ويقول: - لم أكن أعرفك يا مها هكذا سـخيفة وقليلـة عقل.

فابتسمت خلال دموعها وقالت معاتبة:

-إضحك أنت!

أدار لها ظهره حين دلفت الى الفراش.. وذكرت أن المـرات التـي أدار فيها ظهره خلال فترة زواجهما لاتتجاوز أصابع اليد. وكانت كلهـا بسبب غيرة وهمية.

-لماذا تدير ظهرك؟

-ماذا أفعل ان شئت أن تعكري ليلتنا؟

وأردف قائلا بلهجة مرحة معاتبة:

-انك تهينيني بظنونك.. وتنعين علي قلة ذوقي.

انها حقا سخيفة.. تعرف أحمد، وتعرف قدسـية الحيـاة الزوجيـة بالنسبة اليه، وتعرف ما يكنه لها من عميق الحب، وما يحمله للصغير من عاطفة أبوية تكاد تكون هوسا. ومع ذلك فانها تـألم، ولا تـدري سـببا معقولا لهذا الألم.

كانت صامتة ويداها معقودتان خلف رأسها وهي مستلقية تنظر الـى سقف الغرفة وتحاول ان تفهم ما ألمّ بها..

ذكرت يوم كانا عروسين، وأخذت في ترتيب خزانة الثياب ووقعـت في يدها كومة رسائل. قالت لأحمد حينها ضاحكة "رتب أوراقك بنفسك ومزق ما تريد تمزيقه واستبق ما تريد اسـتبقاءه قبـل ان اطّلـع علـى أسرارك، فأجاب:

-ليس بين المراة وزوجها أسرار يا مها. إطلعي على كل شيء.

قرأت الرسائل، واطلعت على الصور، وعرفت أحمد على حقيقتـه، إنسانا مفتوحا لا تخشى المرأة ألاعيبه، فوثقت به.

قال لها بلهجة جدية هادئة دون أن يستدير:

-انني أعرف لم أنت غاضبة.. لأنني مشغول ومتعب..

ولذعتها كلمة متعب. أحست بها تلوي قلبهـا.. آه ! تكـون فاقـدة الإحساس لو شاءت أن تشغله بنفسها كالمراهقات فوق إرهاقـه. فقالـت وهي تكبت ثورة من الانفعالات:

-لا!

-هل هناك سبب آخرسوى أنني مشغول عنك؟ تظنين أنني أتسلى.

-لا.. انني أعرف أنك لاتتسلى.. أتراني أحاسبك أين كنـت وأيـن سهرت؟.. لوكان يخطر لبالي أنك تتسلى لما وقفت منك هذا الموقف. ان الأمر أعمق من هذا..

فقال بتذمر وسخرية:

-وصلنا الى العمق ولن ننام الليلة.. ما هو هذا الأمر العميق ياترى؟

ولم تجب.. ان لهجته الساخرة تفقدها شجاعتها، وتشم فيهـا رائحـة التحدي. كل كلمة تقولها في هذا الجو الهجومي يمكن أن يـساء فهمهـا وتحمل على غير محملها. وصمتها أيضا يجعله يتوهم أشياء لا وجود لها في نفسها. كانت متوترة الأعصاب ضيقة الصدر بكـل هـذا الموقـف. وتشعر أنه يتتطور بحيث لا يمكن لها أن تنفض اليه خبيئة نفسها فيجفف بحنانه مشاعرها البليلة.

وأردف باصرار:

-انك تريدين أن توهميني بأن هناك سببا آخر.. ولكنني لن أصـدق. من المؤسف حقا أن أكتشف ضعف ثقتك بي.

فقالت وهي تكاتم دمعها أن ينحدر:

-ليتك تثق بي بقدر ما أثق بك! وأحست بأن الجو الخانق قد أفـرج فأضافت:

-ان حياتنا لم تعد مشاركة..

فقاطعها قائلا: - ألأنني لاأصطحبك معـي الـى الإجتماعـات أو الإحتفالات؟ أتريدين أن أوظف لك بيبي ستر لتكوني راضية؟

وانتابها شعور بالقهر لأنه لايتركها تعبر عن مشاعرها.

-ان هذه الأمور لاتهمني.. لم أذهب يوما معك الا وعـدت مكتئبـة الصدر..

-ما هذا التناقض؟ وتمالكت نفسها قبل أن تنفجر دموعهـا، فقالـت بسرعة دون أن تترك له فرصة مقاطعتها:

-أحمد لاتقل ما هذا التناقض، بل اسأل نفسك عن سرهذا التناقض.. انني أحب أن أرافقك ولكنني أشعر بالحرج معك.. انني إما أن أثير ظنونك أو أتصرف بغباء.. لقد أفقدتني ثقتي بنفسي.. انني لا أنظر الى الناس ولا تنفرج شفتاي عن ابتسامة الاّ ويتملكني القلق فيما اذا كنت أجرحك.. أحمد ألا تفهمني؟ يجب أن أكون مشوهة التفكير مم سوخة العاطفة حتى يخطر لي ما يزعجك.. ليس من زوجة أسعد مني معك فمم تحذر؟

وأجهشت بالبكاء فتململ في الفراش وقال:

-ما هؤلاء النسوة اللواتي لاتحلو لهن الحياة دون التعرف على أكبر عدد من الرجال!

وابتسمت لنفسها.. انها في دمه هذه الغيرة.. وأردفت قائلة وهي تمسح دمعها:

-عزلت نفسي عن الناس خلال سنوات حتى لم يعد لدي سواك.. ولم أكن لأشكو لو لم تكن لدي رسالة.. لا أريد أن يضيق عالمي وفكري.. أما حان الوقت لتفهمني وتثق بي؟ هذا هو الأمر العميق الذي كان يبكيني.. شعوري بأني عجزت عن كسب ثقتك. وجاء جوابه بعد ايام.. كان جوابا بليغا كعادته حين يجيب..

كانا خارجين من إحدى الحفلات التي دعي اليها وركبا سيارة. ولم يلبث أن جاء صديق له كان قد جافاه لأنه مازح مها يوما. وألح أحمد عليه أن يركب معهما، ولما حاول أن يجلس قرب السائق أصر عليه أن يجلس في الخلف قرب مها.. وانكمش المسكين ويداه بين ركبتيه ورأسه منحن وهو يكاد يذوب خجلا.. ولم تدر مها كيف كانت مشاعر أحمد. لاشك أنه كان يجلس على أعصابه لأنه لم ينبس بحرف طوال الطريق.

ولكنه أراد أن يبرهن لها على ثقته بها وهذا شـيء جميـل. وابتـسمت بارتياح. كان يحز في نفسها أن يفقد أحمد أصدقاءه بسببها. ماذا يهمهـا من كل الناس ومن كل الزيارات والحفلات؟ ان نزهة تسير فيها مع أحمد وبينهما عزيز يقفز كالمهر تفضل عندها كل المجتمعات المتكلفة. وعولت أن تخفف جهدها من اصطحابه، ولا تحمله فوق طاقته.. لماذا تـستحكم العاطفة بالإنسان ولو تحرر الفكر؟ ولكنها لم تلبث أن أقنعت نفسها بأنها عاطفة طبيعية، وهي أشد ارهافا في مجتمع فصل بين الجنسين لأجيال!.